

وباء كورونا وما يتعلق به الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :-

وبعد ؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

هل الفيروسات والأوبئة والطواعين والكوارث الطبيعية انتقام وعقاب من الله تعالى للبشر أم لا ؟ عندما ظهر وباء كورونا في الصين وبدأ في الانتشار إلا وسارع كثير من الناس بقولهم بأنّ هذا الوباء عقاب وانتقام إلهي من البشر إزاء ما يقومون به من أعمال ضد بعضهم من ظلم وقتل وفساد وعدوان وغير ذلك . ويستدلون على ذلك بما يتوافق مع قناعتهم بأنّ هذا الوباء انتقام وعقاب من الله تعالى للبشر. مع أن الله تبارك وتعالى قد أخبر العباد جميعاً بأنه رؤوف رحيم بهم حيث يقول (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) البقرة 143

ولعلنا ندرك لفظ الناس في الآية - لفظ عام يشمل كل الناس على اختلاف أشكالهم وألوانهم وأفكارهم ولغتهم ومعتقداتهم . هم يقولون ذلك مع العلم بأنّ الأوبئة والطواعين والكوارث الطبيعية لا تفرق بين الناس ودياناتهم وأفكارهم ولا تستثني منهم أحداً ولا يقومون بما يجب عليهم من نجدة إخوانهم المصابين وإغاثتهم . هذا في الوقت الذي يعمل فيه العلماء والباحثون والأطباء وأهل التخصص ليل نهار على إيجاد العلاج من هذا الوباء الخطير إنقاذاً للبشرية جمعاء .

الناس يقولون ذلك ويتم وصف ما يقولون دولياً بالعنصرية تورطها بالدين الذي ارتضاه الله لجميع البشر والدين منه بريء . وحرىّ بهؤلاء الناس أن ينظروا إلى الآخر نظرة أخلاقية حضارية قوامها الرحمة والإخاء الإنساني. حيث أن البشر جميعاً إخوة في الإنسانية يقول الله سبحانه وتعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" النساء 1 وقوله تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" الحجرات 13 يجب على هؤلاء الناس أن يعملوا بكل ما لديهم من قوة مادية أو معنوية إلى إغاثة الإنسان مهما كان دينه أو لونه وجنسه من منطلق بشري خيري وواجب إنساني حضاري .

نحن أيضاً في أمس الحاجة إليّ أن نحفظ للعلم مكانته لأنّ الأمة الإسلامية هي أمة العلم في كل مجالاته ولأن العلم هو السبيل الوحيد للتقدم والرقي وتحرير الإنسان من الخرافة والوهم .

نحن كمسلمين لا نستطيع أن نجزم القول في أن هذا الوباء وغيره من الكوارث الطبيعية هي غضب وانتقام وعقاب من الله للناس وذلك لأن الله تبارك وتعالى قال في محكم آياته "إن الله بالناس لرؤوف رحيم" البقرة 143

وأجمع على البشر دائماً في حاجة ماسة إلى الرجوع إلى الله تعالى بالعبادة والسير في طيباته والابتعاد عن سيئاته. وفي هذا أيضاً تنبيه العبد إلى ضرورة الرجوع إلى الله تعالى كونه طالباً للحفظ والمعونة منه وذلك لأن الإنسان بطبعه عند المصائب والشدة يندب بحثاً عن من يغيثه وينصره ويأخذ بيده .

وإذا ما أيقنوا ذلك بأن الله تعالى هو الذي يخلصهم من كل حال شدة أو رثالة فيفسحها لطمأنينة وسكينة التي تعينهم على مواجهة ومجاهاة هذه الابتلاءات وحرره

من التعلق بغير الله سبحانه ويعبر العبد في حال الشدة عن رجوعه إلى الله تعالى بالعبادة والتضرع ويصور الله تعالى ذلك في القرآن بقوله " وإذا غشيهم موجا ظلاله عوا للهم مخلصين له الدين فلما نجاهم بالبر فمنهم مقتصدٌ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور " لقمان 32

وقوله تعالى " فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا " الأنعام 42

وصدق الله تعالى إذ يقول " يا أيها الناس أتتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد " فاطر 15.

هذا وقد تأتي المصائب والابتلاءات تحذيراً من الله تبارك وتعالى وتنبهياً للعباد بما اقترفوه وارتكبوه من معاصي وسيئات في حق أنفسهم وفي حق مجتمعهم وعقاباً لهم عسي أن يعودوا إلى ربهم ويكفوا عما ارتكبوه من فساد وإجرام ويستوي في ذلك الناس كلهم المؤمن منهم وغير المؤمن وفي هذا يقول الحق سبحانه وتعالى " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير " الشوري 30

وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت (سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله تعالى على من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين . ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد)
أما عن كونه رحمة للمؤمنين حيث تُرفع بها درجاتهم إذا صبروا على هذه الأوبئة والأمراض وامتثلوا أمر ربهم فيما يفعلون ويذرون حيث أنّ المطعون بها له مثل أجر الشهيد وقد مات على فراشه وهذه رفعة له في الدرجات وجاء في رواية الإمام البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (الطاعون شهادة لكل مسلم).
وقد تكون هذه الأوبئة والأمراض تكفيراً للخطايا والذنوب وهذه رحمة من الله تعالى بالمؤمنين .

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُوعك فمسستته بيدي فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديداً . فقال رسول الله ﷺ أجل إني أوعك كما يُوعك رجلان منكم قال فقلت ذلك أنّ لك أجرين قال رسول الله ﷺ أجل ثم قال رسول الله ﷺ " ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حظ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها " . وفيما رواه الإمام البخاري

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة) .

ومما قيل أيضاً في رفع الدرجات ما رواه الإمام أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال . إنَّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صَبْره على ذلك حتى يبلغ المنزلة التي سبقت له من الله تعالى .

من خلال ما سبق إخوتي في الله يتبين لنا بأنه لا نستطيع أن نجزم القول ونقصره علي أن هذا الوباء وغيره من الكوارث الطبيعية هي غضب و عقاب من الله للبشر وذلك لأنَّ الله تعالى بعباده رؤوف رحيم حيث يقول سبحانه "إنَّ الله بالناس لرؤوف رحيم " .

ولكن بجانب ما بيناه من حكم أَرادها الله تعالى والله أعلم بمراده إمَّا أن يكون هذا الوباء وغيره تنبيهاً وتحذيراً وعقاباً لما اقترفه الناس من فساد وإجرام ومعاص وسيئات يستوي في ذلك المؤمن وغير المؤمن وإما أن يكون رحمة من الله تعالى للمؤمنين به يرفع الله تعالى الدرجات ويغفر الذنوب والسيئات .

ونحن كمسلمين لسنا قضاة ومنفذي أحكام فالذي يقضي في هذا الكون بحكمه وعلمه هو الله وحده لا شريك له يحكمولاً معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

تسأل الله تبارك وتعالى أن يرفع الوباء والبلاء والمرض عن جميع البشر إنه ولي ذلك والقادر عليه اللهم آمين .

وصلّي الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته؛